الدرس السادس عشر :

من وصايا النبي ﷺ لأبي ذر

روى ابن حبان في صحيحه ، كما روى الحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ، ما كانت صحف إبراهيم؟

قال : « **كانت أمثالاً كلها** » .

ثم ذكر النبي ﷺ ، لأبي ذرٍّ بعض ما في صحف إبراهيم ، وقال : « **أيها الملك المسلَّط المُبتلَى المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتُك لتردَّ عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردُّها وإن كانت من كافر .**

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله ، أن يكون له ساعات : فساعة يُناجي فيها ربه ، وساعة يُحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكَّر فيها في صُنع الله عز وجل ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب .

وعلى العاقل ألا يكون ظاعنا إلا لثلاث : تزوُّد لمعاد ، أو مَرَمَّةٍ لمعاش ، أو لذَّةٍ في غير مُحرَّم .

وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه ، مقبلاً على شانه ، حافظًا للسانه .

ومن حَسَب كلامه من عمله ، قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه » .

قلت (والقائل أبو ذر رضي الله عنه) : يا رسول الله ، فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال : « **كانت عِبرًا كلها** » . (ويبدو أن هذه الصحف شيء غير التوراة) ، ثم ذكر له أمثلة من هذه العِبَر :

«عجبتُ لمَن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبتُ لمَن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبتُ لمَن أيقن بالقدر ثم هو ينصَب ، عجبتُ لمَن رأى الدنيا وتقلُّبها بأهلها ثم اطمأنَّ إليها ، عجبتُ لمَن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل».

قلت : يا رسول الله ، أوصني .

قال : «أوصيك بتقوى الله ، فإنها رأس الأمر كله» .

قلت : يا رسول الله ، زدني .

قال : «عليك بتلاوة القرآن ، وذكر الله عز وجل ، فإنه نور لك في الأرض ، وذُخر لك في السماء» .

قلت : يا رسول الله ، زدني .

قال : «إيَّاك وكثرة الضحك ، فإنه يُميت القلب ، ويُذهب نور الوجه».

قلت : يا رسول الله ، زدني .

قال : «عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي».

قلت : يا رسول الله ، زدني .

قال : «أحِبَّ المساكين وجالسهم».

قلت : يا رسول الله زدني .

قال : «انظر إلى مَن هو تحتك ، ولا تنظر إلى مَن هو فوقك ، فإنه أجدر ألاَّ تَزْدري نعمة الله عندك».

قلت : يا رسول الله ، زدني .

قال : «قل الحق وإن كان مُرًّا» .

قلت : يا رسول الله ، زدني .

قال : «ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ، ولا تَجِدْ عليهم فيما تأتي ، وكفى بك عيبًا أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك ، وتَجِدْ عليهم فيما تأتي». ثم

ضرب بيده على صدري ، فقال : « **يا أبا ذر ، لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكفِّ ، ولا حسب كحسن الخلق** »[1].

عظات بالغات :

هذا حديث جامع حافل بالعظات البالغة ، وبالحكم والعبر من صحف إبراهيم ومن صحف موسى ، ومن وصايا محمد ﷺ لأبى ذر .

وشرح هذا الحديث يطول ، ولكنه واضح بيِّن ، لمَن أراد أن يتدبَّر ، ومَن أراد أن يعقل .

إنه بيِّن لمَن كان له قلب ، ومَن كان له عقل ، ومَن ألقى السمع وهو شهيد . ويكفي أن نُلقي بعض الضوء ، على تلك الكلمات البليغة التي أوصى بها النبي ﷺ صاحبه أبا ذرٍّ[2]، وقد كان حريصًا على الاستفادة من النبي ﷺ ، وعلى أن يقبس من مِشكاة النبوة ما استطاع .

لهذا طلب من النبي صلوات الله وسلامه عليه ، بعد أن سمع بعض العبر من صحف إبراهيم وموسى ، قال : يا رسول الله ، أوصني .

رأس الأمر : التقوى

فأوصاه أول ما أوصاه بتقوى الله ، مُعلِّلاً ذلك بأنها رأس الأمر كله . . . . رأس الأمر التقوى . . . لا يقبل عمل ما لم يكن وراءه تقوى .

بكى بعض الصَّالحين فقيل له : ممَّ تبكي؟ وأنت صاحب نوافل وصاحب عبادة؟! فقال : ما يدريني أنني أعمل في غير معمل؟! وأن هذا كله مردود على! فإن

---

(١) رواه ابن حبان في البر والإحسان (٣٦١) ، وقال الأرناؤوط : إسناده ضعيف جدًّا ، والطبراني في الكبير (١٥٧/٢) ، وأبو نعيم في الحلية (١٦٧/١، ١٦٨) ، والبيهقي في الشعب باب حفظ اللسان (٨٠٣١) ، عن أبي ذر ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن هشام ابن يحيى الغساني وثقه ابن حبان ، وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة ، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب : ضعيف جدًّا (١٣٥٢) ، وذكره من أول : « قال أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله » إلى « قل الحق وإن كان مرًّا » وقال : صحيح لغيره ، والقسم الأول من الحديث ضعيف جدًّا (٢٢٣٣) .

(٢) وهي التى صححها الألباني لغيرها في الحديث .

الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:٢٧)، وما يدريني أني من هؤلاء؟ فالتقوى في القلب ، وليست التقوى في المظهر .

إنَّ خشية الله ، ينبغي أن تكون في السرِّ والعلن ، في الخلوة والجلوة . . . أن تكون مراقبًا لله ، عارفا بالله ، خائفًا من الله عز وجل . هذا هو لُباب التقوى .

تلاوة القرآن :

لم يكتفِ بذلك أبو ذر ، فقال : يا رسول الله ، زدني من وصاياك النافعة . . . فقال : « عليك بتلاوة القرآن ، وذكر الله عز وجل ، فإنه نور لك في الأرض ، وذُخر لك في السماء » .

تلاوة كتاب الله ، كل حرف فيه بعشر حسنات ، « لا أقول : ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[1].

اذكر الله على كل حال :

وذكر الله عز وجل على كل حال ، قائمًا أو قاعدًا أو على جنبك ، اذكر الله ذكرًا كثيرًا ، وسبحه بكرة وأصيلاً ، لا تغفل أبدًا عن ذكر الله ، لا تكن من الغافلين . . .

إنَّ الله تعالى ، يحبُّ من عباده أن يذكروه بقلوبهم ، وأن يذكروه بألسنتهم في كل حال ، وفي كل حين ، كما كان النبي ﷺ ، يذكر الله على كل أحواله وأحيانه[2].

إذا قام من نومه ذكر الله ، وإذا أوى إلى فراشه ذكر الله[3]، وإذا أكل مبتدئًا

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠)، وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وعبد الرزاق (٦٠١٧) ، كلاهما في فضائل القرآن ، والطبراني في الكبير (١٣٠/٩) ، والبيهقي في الشعب باب تعظيم القرآن (١٩٣٣) ، عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٢) قالت عائشة : كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه . رواه البخاري في الأذان تعليقًا، ومسلم في الحيض (٣٧٣) ، وأحمد (٢٤٤١٠) ، وأبو داود في الطهارة (١٨) ، والترمذي في الدعوات (٣٣٨٤) ، وابن ماجه في الطهارة وسننها (٣٠٢) .

(٣) كان النبي ﷺ ، إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ، ثم يقول : « اللهم باسمك أموت وأحيا »، وإذا استيقظ قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور »، رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٢) ، وأحمد (٢٣٢٧١) ، وأبو داود في الأدب (٥٠٤٩) ، والترمذي في الدعوات (٣٤١٧) ، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٨٠) ، عن حذيفة .

أو منتهيًا ذكر الله[1]، وإذا شرب ذكر الله ، وإذا هبَّت ريح ذكر الله[2]، وإذا ركب دابته ذكر الله[3]، وفي كل هذا أذكار وأدعية واردة عنه عليه الصلاة والسلام تشرح الصدور ، وتملأ القلوب بمعرفة الله تعالى وبمحبته .

وفي ذلك ألَّف الإمام النووي كتابه (الأذكار) ، وألَّف الإمام ابن تيمية كتابه (الكلم الطيب) ، وألَّف تلميذه ابن القيم (الوابل الصيب في الكلم الطيب) .

كل هذه تدلُّ المسلم على ما يجب أن يذكر به ربه في سائر الأوقات ، وفي كافة الأحوال .

النهي عن كثرة الضحك :

ثم قال أبو ذر ، الراغب في الخير : يا رسول الله ، زدني .

فقال : « إياك وكثرة الضحك ، فإنه يُميت القلب ، ويُذهب نور الوجه».

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « إذا أكل أحدكم طعامًا ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وأطعمنا خيرًا منه ، وإذا سقي لبنًا ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه . فإنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن»، رواه أحمد (١٩٧٨) ، وقال محققوه : حسن وهذا إسناد ضعيف ، وأبو داود في الأشربة (٣٧٣٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٥٥)، وقال : حديث حسن ، عن ابن عباس ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٢٠)، وقال رسول الله ﷺ : « من أكل طعامًا ، ثم قال : الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه». رواه أحمد (١٥٦٣٢)، وقال مخرِّجوه : إسناده حسن ، وأبو داود في اللباس (٤٠٢٣)، والترمذي في الدعوات (٣٤٥٨) ، وقال : حسن غريب ، وابن ماجه في الأطعمة (٣٢٨٥) ، عن معاذ بن أنس .

(٢) كان النبي ﷺ ، إذا عصفت الريح قال : «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به»، رواه مسلم في صلاة الاستسقاء (٨٩٩) ، والترمذي في الدعوات (٣٤٤٩) ، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٩١) ، عن عائشة .

(٣) كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر ، كبر ثلاثا ، ثم قال : « : سبحان الذي سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطوِّ عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون». رواه مسلم في الحج (١٣٤٢) ، وأحمد (٦٣١١) ، وأبو داود في الجهاد (٢٥٩٩) ، والترمذي في الدعوات (٣٤٤٧) ، عن ابن عمر .

لم ينهَهُ عن الضحك كلِّه ، فإن الإسلام لا يريد أن تكون الحياة كلها عُبُوسًا وكآبةً ووحشةً ... ولكنه نهاه عن كثرة الضحك ، أن تصبح الحياة مَضْحَكَة ومَهْزَلَة ، أن يملأ الإنسان أوقاته بالسُّخرية وبالهزل ، وبالنكات والضحك المتواصل .

التوازن في تقسيم الأوقات :

لا ، لا بد أن يكون الإنسان عادلاً في تقسيم وقته : فساعة لقلبك ، وساعة لربك.

ولله منِّـــي جانـــبٌ لا أضـــيعُهُ وللَّهْـــو منِّـــى والبطالـــة جانـــبٌ

قسِّم أوقاتك ، كما جاء في صُحف إبراهيم : « يجب أن تكون للعاقل ساعات : ساعة يُناجي فيها ربه ، وساعة يُحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكَّر فيها في صنع الله عز وجل ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب».

اضحك وامزح ، ولكن أعط الكلام من المَزح بمقدار ما تُعطي الكلام من الملح .

والنفسُ تَسأمُ إن تَطَـاوَلَ جـدُّها فاكشفْ سـآمةَ جـدِّها بمـزاح

كثرة المزاح والضحك تميت القلب :

لا بأس أن تمزح ، ولكن لا تجعل حياتك كلها ضحكًا ومزاحًا ، فإنه يُميت القلب ، لأنه يُذهب من القلب الخوف من الله والحياء منه . . . فيموت القلب حين ذاك .

فكثرة الضحك الدنيوي ، والفرح بالدنيا ، كما قال الغزالي : (سمٌّ قاتل ، يسري إلى العروق ، ويذهب إلى القلب فيموت ، وإذا مات القلب استحق النار والعياذ بالله)[1].

الجهاد رهبانية هذه الأمة :

ثم يقول لأبي ذر وقد طلب منه زيادة الوصايا : «عليك بالجهاد ، فإنه رهبانية أمتى» .

ليس في هذه الأمة رهبانية ، ولا انقطاع عن الحياة ، ولا عُزلة عن الناس ، وإنما فيها الجهاد .

---

(١) إحياء علوم الدين (٦٨/٣) .

مَن أراد أن يُكتب له عمل صالح دائم ، أن يتعبَّد لله باستمرار ، فليجاهد في سبيل الله . . . فإنه مثل الصائم الذي لا يفطر ، والقائم الذي لا يَفْتُر[1].

احمل سلاحَكَ، ودافع عن دينك ووطنك وأهلك ، وجاهد أعداء الله . . . بذلك تعيش الحياة كلَّها عبادة، وكلُّها طاعة .

وليس الجهاد الإسلامي هو حمل السلاح وحده ، هناك الجهاد الدعوى ، والجهاد الاجتماعي ، وغيره[2].

حبُّ المساكين ومجالستهم :

قال أبو ذر : يا رسول الله ، زدني .

فقال : «أحب المساكين وجالسهم» ، كما جاء في بعض الأحاديث : «اللهم أحينى مسكينًا ، وأمتنى مسكينًا ، واحشرني في زُمرة المساكين»[3]. أي : في زُمرة هؤلاء الناس المستضعفين المتواضعين .

أحب هؤلاء وجالسهم ، وإن كنتَ كبير الجاه ، أو كثير المال ، تواضع لله يرفعك الله ، وأحب هؤلاء يحببك الله .

مقياس النظر في أمور الدنيا :

قال أبو ذر : زدني .

---

(١) قيل للنبي ﷺ : ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال : «لا تستطيعوه». قال : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا ، كل ذلك يقول : «لا تستطيعونه». وقال في الثالثة : «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله ، لا يفتر من صيام وصلاة ، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى»، رواه مسلم في الإمارة (١٨٧٨) ، وأحمد (٩٤٨١) ، والترمذي في فضائل الجهاد (١٦١٩) ، عن أبي هريرة .

(٢) ينظر في مفهوم الجهاد وأنواعه كتاب : «فقه الجهاد» ، لفضيلة الشيخ .

(٣) هناك حديث أبي سعيد وحديث عبادة بن الصامت رواه الترمذي في الزهد (٢٣٥٢)، وقال : حديث غريب ، والبيهقي في الشعب باب حب النبي (١٤٥٣) ، وفي الكبرى كتاب قسم الصدقات (١٢/٧) ، وقال المتقي الهندي في كنز العمال : أورده ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ (٧٦٤/٦) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٩١٧) .

قال : «انظر إلى مَن هو تحتك ، ولا تنظرْ إلى مَن هو فوقك ، فإنه أجدر ألا تزدري نعمة الله عندك» .

في أمور الدنيا ، لا تنظر إلى مَن هو فوقك فتتعب كثيرًا ، ولكن انظر إلى مَن هو دونك ، إلى مَن تحتك ، فتجد نعم الله كثيرة عليك .

إذا كنت متوسط الغنى انظر إلى مَن لا غنى عنده . . . إلى رجل صِفْر اليدين ، هنالك ستشعر بالنعمة وتقول : الحمد الله . ولا تنظر إلى أصحاب الملايين ، فإنك تُتعب نفسك ، وتُجهد قلبك ، ولا تحصل على طائل .

إذا كنت ضعيف الصحة ، فانظر إلى مَن هو أقل منك صحة ، إلى مَن يعيش في أمراض دائمًا .

إذا كنتَ قليل الولد ، فانظر إلى مَن لا ولد عنده ، وإذا لم يكن عندك أولاد قط ، فانظر إلى مَن لم يُتَح له أن يتزوج .

وانظر إلى مَن حُرِمَ النِّعم الكثيرة في الدنيا . . . وهكذا ، تجد أن نعم الله كثيرة عليك . أما في أمْر الدين ، فانظر أبدًا إلى من هو أعلى منك لتكون مثله أو تسبقه .

قل الحق وإن كان مُرًّا :

ثم قال له :« يا أبا ذر ، قلِ الحق وإن كان مُرًّا». قل الحق وإن كان ثقيلاً عليك ، أو أغضب بعض الناس منك .

لا تخف في الله لومة لائم . . . فهذا أجدر أن يحبك الله تعالى ، وأن يرضى عنك .

هذه هي وصايا النبيُّ ﷺ ، لأبي ذر ، على المؤمن أن يحرص عليها ، وأن يرضى بها ، وأن يجعلها دستورًا لحياته .

بذلك يرضى الله عنك ، ويكون طريقك إلى الجنة ، وسبيلك إلى رضوان الله سبحانه وتعالى .

* * *